الفصل السادس

قطر

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي، وفيها تقع دولة قطر وعاصمتها الدوحة، ومن أشهر بلدانها (الزبارة) و(دخان)، وهي منطقة حقول الزيت، وتبلغ مساحة قطر ثمانية آلاف ميل مربع (١٧,٥٠٠كم٢) وسكانها زهاء مليون نسمة. وهي غنية بالنفط الذي نال امتيازه شركة قطر التي تشبه في تشكيلها شركة نفط العراق. وبدأ إنتاج النفط عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) وغدت قطر البلد الحادي عشر في إنتاج النفط في العالم[١].

كانت قطر جزءاً من البحرين يحكمها حاكم من قبل آل خليفة وأحياناً يستقل بهذه المناطق، وفي كثير من الأحوال كانت منطقة البصرة أو اليمامة هي التي تشرف على المنطقة، وفي القرن الثامن الهجري - استولى بنو نبهان العمانيون على قطر، ولم يطل مقامهم بها، ومن بعدهم تناوب على قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد. وفي عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) استولى البرتغاليون على قطر، وفي عام ٩٤٣هـ (١٥٣٧م) أرسل السلطان سليمان القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا والي مصر لمحاربة البرتغال وطردها، ونجح هذا الأسطول في مهمته، فطرد البرتغال من البحرين، والقطيف، وقطر واستولى عليها، كما استولى على الأحساء. وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بني خالد أن يطردوا العثمانيين سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م) ويصبحوا حكام الأحساء.

---

(١) د. عبد الكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص٢٦٠ دمشق ١٩٦١م.

وعندما قامت الدولة السعودية الأولى مدت سلطانها إلى قطر في عهد عبد العزيز بن محمد، وأرسلت حملتين إحداهما سنة ١٢٠٢هـ (١٧٨٧م) بقيادة سليمان بن عفيصان، والثانية سنة ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣م) بقيادة إبراهيم بن عفيصان، وبعد سقوط الدرعية مدّ آل خليفة أمراء البحرين سلطانهم إلى قطر[(١)].

ولعل من المفيد أن نتتبع تطور القوى المحلية في قطر منذ البداية، فمن المعروف أن العتوب هاجروا من موطنهم في نجد في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، فنزلوا في منطقة قطر في ظل قبيلة آل مسلم التي كانت تحكم تلك المنطقة من شرقي الجزيرة العربية، وقد استقر العتوب في قطر مدة تقارب نصف قرن، تعلموا خلالها ركوب البحر، وأصبحوا مهرة في شؤون البحار، وعرفوا صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية، وخبروا مزايا موقع أرضهم الجديدة في شرقي الجزيرة العربية، وبمرور الوقت نمت القوة الاقتصادية البحرية للعتوب، وأصبحوا يمثلون خطراً حقيقياً لآل مسلم حكام قطر. وشعر هؤلاء -أي آل مسلم- أن استمرار وجود آل الصباح وآل خليفة في قطر يشكل خطراً عليهم، لذا فقد نشب النزاع بينهم، واضطر العتوب (آل صباح وآل خليفة) إلى الهجرة بحراً نحو رأس تنورة في الأحساء، وتبعهم آل مسلم ليحطموا قواهم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، وبعد تنقل وتشتت حطّ العتوب الرحال في ثغر الكويت، واستقروا بعد أن سمح لهم بنو خالد بالإقامة هناك (أي في الكويت). واقتسم العتوب الحكم في الكويت، فكان لآل صباح إدارة شؤون الحكم ولآل خليفة إدارة شؤون التجارة، وللجلاهمة إدارة شؤون

(١) د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٧، القاهرة ١٩٧٧، ص٦٤٦.

البحر. وما لبث آل خليفة أن هاجروا من الكويت إلى قطر مرة أخرى في عام ١١٨٠هـ (١٨٦٦م) أي بعد خمسة عشر عاماً من إقامتهم في الكويت[١].

أسس آل خليفة مدينة الزبارة، وسرعان ما نمت وازدهرت لتتحول إلى مركز تجاري نشيط، راح ينافس ميناءي العقير والقطيف على ساحل الأحساء بل راح ينافس أيضاً موانئ الفرس على الخليج. وفي عام ١١٩٨هـ (١٧٨٣م) كان بدء الصدام بين القوة النامية الجديدة وبين القوى القديمة التي أحست بخطر الوافد الجديد، فكان هجوم الفرس بقيادة الشيخ ناصر حاكم بوشهر على الزبارة، وقد دحر هذا الهجوم، وتراجعت السفن القادمة بعد أن تكبدت أفدح الخسائر، وكان من الطبيعي أن تحس القوى الجديدة بذاتها، وأن تزداد لديها التطلعات والآمال[٢].

وكان التطلع نحوالبحرين هو هدف القوى المحلية، ففي عام ١١٩٨هـ (١٧٨٣م) قامت قبائل العتوب بغزو البحرين بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر، وحاصرتها مدة امتدت حوالي الشهرين، وانتهى الحصار بفتح جزر البحرين، وبعد فتح البحرين تغير ميزان القوى في المنطقة، فبعد أن كان اهتمام آل خليفة مركّزاً في قطر، تحول هذا الاهتمام إلى البحرين. وإذا كان دخول البحرين قد تحقق باتحاد قبائل قطر وتكامل وتحالف وقوة العتوب (آل خليفة والجلاهمة وآل صباح) إلا أن الجلاهمة خرجوا من الفتح دون أن ينالوا ما يوازي ما قدموه. لذلك أخذ البنيان الجديد يهتز من داخله ويحمل بين طياته عوامل فنائه، إذ اجتاحته نزاعات، انتهت بانفصال قطر عن

(١) د. عبد العزيز المنصور ود. فتوح الخترش: نشوء قطر وتطورها. الكويت دار ذات السلاسل ١٩٧٧، ص٣٩-٤٠.

(٢) لوريمر. ج. ج، دليل الخليج (التاريخي) ج، ص١١٩٧ (قطر ١٩٧٥).

البحرين، بعد أن تبلورت في قطر قوة محلية تحت زعامة واحدة بقيادة قاسم آل ثاني[١].

ونتيجة لما قدمه آل ثاني من مساعدات لآل خليفة في فتح البحرين، عين آلُ خليفة آلَ ثاني حكاماً لقطر يحكمونها باسمهم، وهكذا أصبح آل ثاني هم زعماء الشعب في قطر، وقد حافظوا على زعامتهم الشعبية منذ ذلك الحين، وكان ابنه الشيخ قاسم نائباً له في أثناء حياته، ولكنه كان من عظماء السياسة، فبدأ يستقل بالأمر دون أن يعود لاستشارة آل خليفة، فطلب آل خليفة من والده الشيخ محمد أن يرسل لهم ابنه الشيخ قاسماً (لتجديد الصحبة ولإزالة الشبهة) فاستجاب لهم[٢]، إلا أن البحرين قد ألقت القبض عليه واعتقلته. وهاجم قومه البحرين لإنقاذه ولكنهم هزموا، وتعقبتهم قوات البحرين إلى ساحل قطر، وكان ذلك عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٦م)، غير أن أهل قطر لم يتركوا الأمر، بل اختطفوا أحد أقارب شيخ البحرين، ثم أخلوا سبيله مقابل فك أسر الشيخ قاسم الذي أصبح سيد قطر الحقيقي[٣].

وكان لتدخل بريطانيا أثر كبير في فصل قطر عن البحرين، فقد عقدت بريطانيا اتفاقية مع الشيخ محمد آل ثاني زعيم قطر تعهد فيها بألا يقوم بأي عمل عدواني ضد جيرانه، كما تعهد بألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر، بل عليه أن يحل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه بتوجيهها إلى المقيم البريطاني للفصل فيها[٤]، وحددت بريطانيا

(١) عبد العزيز المنصور، وفتوح الخدش، نشوء قطر وتطورها، ص٤١ .

(٢) مصطفى كامل الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، ص١٧٧ .

(٣) عبد الكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٢٥٩ .

(٤) لوريمر. ج.ج، دليل الخليج، ج، ص ١٢١٦ .

كذلك العلاقات بين قطر والبحرين. وقد وضع هذا الاتفاق أساس استقلال قطر عن البحرين. وكان على قطر أن تدفع ضريبة لحاكم البحرين غير أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي تولى الحكم بعد أبيه امتنع عن دفع الضريبة مدعماً بذلك استقلاله[1].

وقد وحَّد الشيخ قاسم ١٢٩٥-١٣٣٢هـ (١٨٧٧-١٩١٣م) قطر، وقضى على مناوئيه فتألق نجمه، وعلت مكانته، ومن هنا خشي العثمانيون أن يخرج عن طاعتهم كما فعل آل خليفة، فهاجمت القوات العثمانية قطر عام ١٢٨٨هـ (١٨٧٠م) واحتلتها وأجبرت الشيخ قاسماً على الفرار، واعترف العثمانيون أول الأمر بزعامة أحمد أخي قاسم ثم اعتقلوه، ولكن الشيخ قاسماً تمكن من إلحاق هزيمة بالعثمانيين وتحرير أخيه واستعادة سيطرته على قطر. ونجح قاسم في صد حاكم أبي ظبي، واستعادة الدوحة منه، وفرض عليه صلحاً عام ١٣٠٣-١٣٠٦هـ (١٨٨٥-١٨٨٨م)، وفشلت محاولة قاسم لغزو البحرين عام ١٣١١هـ (١٨٩٣م) إذ تدخل الأسطول البريطاني، وحطم قوارب الغزو القطرية، وفرض على الشيخ قاسم معاهدة صلح[2].

وكان الشيخ قاسم سيء العلاقة بالإنكليز يعارض سياستهم ولا يسير في فلكهم، مما جعل بريطانيا تتحين الفرصة للانتقام منه، واغتنمت بريطانيا فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى، وجلاء القوات والنفوذ العثماني عن قطر، ففرضت في عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) معاهدة حماية على قطر بعد أن

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ص١١٣ .

(٢) عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، ص٢٦٠ .

تنازلت لها الدولة العثمانية عام ١٣٣٢هـ ١٩١٣م عن حقوقها في قطر في العام الذي توفي فيه الشيخ قاسم. وقد جاء في هذه الاتفاقية «تتنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر في حكمها الشيخ قاسم بن ثاني وخلفاؤه من بعده، وتتعهد الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين في أمور قطر الداخلية أو ضمها إلى أراضيها»[١].

خلف الشيخ قاسماً ابنه الشيخ عبد الله الذي لم يكن في حزم أبيه ومكانته، فأصبح النفوذ البريطاني في عهده قوياً وعقد معاهدة مع بريطانيا، وفي عهده اكتشف النفط فمنح امتيازاً لاستثمار النفط عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٤م)، وظل الشيخ علي في الحكم حتى عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وفي عهده حدثت زيادة هائلة في النفط في قطر نتج عنه ارتفاع في مستوى المعيشة وزيادة في العمران. ولكن الشيخ علياً تنازل لابنه الشيخ أحمد ليصبح أميراً لقطر، ونصت وثيقة التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ابن أخي الشيخ علي) ولياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد، وقد ظل الازدواج قائماً حتى عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) حيث عزل الشيخ أحمد، وأصبح الشيخ خليفة بن حمد هو أمير قطر وحاكمها، وهو الذي أعلن استقلال البلاد عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م)[٢]. غير أن الشيخ حمد بن خليفة قد أطاح بوالده وتولى الحكم مكانه في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(١) مصطفى الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، ص١٩٤ .
(٢) المرجع السابق.